MERS
MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 7-11-95
Photo No. : 212

المصافحة الفتّاكة

مَنْ من العرب لم يشته يوماً، في احدى لحظات التأزم، مقتل القائد الاسرائيلي الراهن، الآخذ بالفتك بهذا الشعب العربي او ذاك؟ ربما لا احد. مع ذلك، ظلت هذه التمنيات مثابة احلام يقظة. حتى المقاومة الفلسطينية في أوج فورتها العنفية، نهاية الستينات وبداية السبعينات، لم تفكر جديا باستخدام اسلوب الاغتيال ضد المسؤولين الاسرائيليين، في الوقت الذي لم تتوان بعض فصائلها عن خطف الطائرات وزرع القنابل في الاماكن العامة. حال دون ذلك، بالاضافة الى الصعوبات العملانية، اقتناع عارم بأن الاسرائيليين سواسية وان المؤسسة اقوى من الفرد، فلا فائدة تالياً من استهداف شخص اذا كان خَلَفه سيسلك النهج العدواني نفسه، او ما هو اسوأ.

كان ذلك في عصر الصراع، قبل اختراع السلاح الفتاك الجديد: المصافحة. فهذا السلاح، بخلاف غيره من الاساليب العنيفة، لا يؤدي فقط الى القتل، بل يضاعف مفاعيله على المؤسسة التي كان يقودها القتيل.

وبالفعل، نكتشف اليوم ان مصافحة ياسر عرفات لرابين لم تؤد فقط الى اغتيال الاخير، بل زعزعت وما زالت تزعزع الوعي الاسرائيلي، على اختلاف مشاربه، بدليل ان الدولة الاسرائيلية لم تستطع تحمل رغبة الرئيس الفلسطيني بمواساتها، من خلال حضور تشييع الراحل. وكأن ثمة شيئاً اهم من اعتراف الفلسطيني بالكيان الاسرائيلي: بقاؤه، حضوره، واحتمال عودته.

قد لا يقتنع البعض بان مصافحة عرفات هي التي قتلت رابين. لكن ردة الفعل الاسرائيلية على نية عرفات حضور مراسم التشييع كافية وحدها لتثبت كم هو بدائي ومغلوط هذا المنطق العربي التخويني الذي رأى ان قبول الفلسطينيين بموازين القوى يشكل المعصية الكبرى (حتى لا نتكلم عن رعونة الذين اطلقوا النار فرحا بعمل قام به اسرائيلي يكره العرب الى حد انه اخذ على ضحيته القليل القليل مما قدمته).

بيد ان الزعزعة لا تتوقف على البعد الرمزي، بل هي مرشحة لأن تترجم نفسها صراعا سياسيا غير مألوف في الاشهر المقبلة. اذ تشاء الظروف، او يشاء القاتل، ان تأتي عملية الاغتيال قبل فترة وجيزة من المفترق الاساسي الذي ستشكله الانتخابات الاسرائيلية. فهي، الى كونها تعتبر استفتاء على عملية السلام، ستُدخل تحولا جوهريا في الحياة المؤسساتية الاسرائيلية من خلال النظام الجديد لاختيار رئيس الوزراء. فاذا تذكرنا ان رئيس الحكومة الاسرائيلية سيكون منتخبا مباشرة من الشعب للمرة الاولى، ادركنا ان اسرائيل معرّضة لمواجهة ازمة قيادية حادة.

في المعركة الانتخابية المرتقبة، كان اسحق رابين يمثل الرجل المناسب في اللحظة المناسبة. فعلى رغم مزاحمة بنيامين نتانياهو له، كان يجمع بين ملاءمته للمرحلة السلمية (وقد ساهم اكبر مساهمة في صوغ ملامحها) وقدرته على تلبية حاجة اسرائيلية مزمنة الى التطمين.

ومن نافل القول ان هذا الجمع لا يتوافر عند كل خلفائه المحتملين في حزب العمل ولا عند خصمهم اليميني. بالطبع، هناك بيريز الذي يستطيع التعويض عن ضعف قدرته التطمينية بالاستمرارية الحزبية والمؤسساتية. لكن حتى اختيار بيريز لخوض المعركة باسم حزب العمل لن يغني اسرائيل عن اختبار ازمة قيادية معطوفة على مشكلة تداول الاجيال.

كان رابين ينتمي، مع بيريز ورئيس الدولة عازر وايزمان، الى جيل المؤسسين الثاني. لم يكن بالتأكيد ينوي اعتزال السياسة. لكنه كان يعرف ان عليه، في الثالث والسبعين من العمر، البدء بتحضير جيل جديد من القادة. وفي هذا المجال، لم يكن يخفي رغبته في دفع رئيس الاركان السابق، الجنرال اهود بارك، الذي دخل الحكومة هذه السنة، للحؤول دون وصول جيل "الاربعينيين"، وجلّ رموزهم من "الحمائم"، الى زعامة الحزب. اما وقد مضى قبل ان تتضح معالم الخلافة، فصار من المحتّم ان تحسم الامور في حمى المعركة الانتخابية.

لو كان لرابين ان يأسف لشيء في آخرته، فإنه سيأسف اولا لهذا التزامن المفجع، من وجهة النظر الاسرائيلية، بين لحظة تداول الاجيال وضرورة الجواب على السؤال الفلسطيني، اي ان الزعيم الجديد، ايا يكن، مواجَه منذ اللحظة الأولى لزعامته بسلاح المصافحة الفلسطينية، فإما ان يكون نتاجا لها او ضحية.

سمير قصير